عِدال

مجموعة شعرية

سلمان فراج

الرامة- أيار 2001

لا

لا عندي خبرٌ أحكيه اليوم ولا عندي ...

لكنّي اليومَ قَؤوَلْ:

هبْ أنّ التاريخ تجلّى

هل فيه سوى الأشباح تشد خطانا وسوى وجع نحمله

ونصول به ونجول ؟!

قالوا: التاريخُ يعلمنا الحكمة، هل

خفَّف الوجع الناشب في العظم...؟ وهل

حرّكت الأشباح رؤى...؟

لا عندي خبر أحكيه اليوم ولا عندي...

لكنْ لا بد

فنبض الشعر شذًى

أحكي؟...

فلأحك...! على شَفَتيّ مواسمُ شعرٍ ما

برحت تنأى عن وجع الأصنامِ

وتبحث عن نبأ معقول

أحكي عن "أشواك سلام" كنتُ قرأت حكايتها
أحكي عن "أولاد الحارة" – لم يتعظوا، عن
"صوت يصرخ في البرية" يعلن "درب الربّ" وعن
شغف مأمول

ما عندي خبر أحكيه ولكن
عندي من نبض الشعر مرايا ورؤى تُغري بالحكيِ
سأحكي عن أرض ما كانت
وسماء ما كانت
وعن الفرح الآتي كالطوفان وعن
وعد لا نُوفيه اليوم، ولكن
أحكيه لعل الحكي يهز الغُمّة من غُرّتِها!
ولعل الوهم يزول...!

ما هم

لم يَرِد النّحْلُ ولم تغْفُ العيون

وحملقَ الزهر مدًى

والغاب غيب ما تألف والظنون

شحّت مراياها هنا ألفُ جنون طاح من وهمٍ فقد

ناءت رؤى

ألف جنون

صار الكلام شجنا

صار الهوى إثما وصار الموت في العشق فُتون

يسرد الغابُ حكاياه وتروى الأغصن ما تروي ولا

غصنَ يُرى من أغصن الغاب ولا

حكيَ ولا شأنَ سوى

لا يَردُ النحلُ ولا تغفو العيون

أيّ سماء فتحت من شغفٍ

كل الشبابيك ولم

تنزف وما

همّ العصافيرَ الحوارُ وما

هم الشجون

ربما

ربما يستريح الشتاء هنا

ربما مفرط

ربما عابر

ربما الصيف من مرفأ الغد آت لنا

ربما

لا تسل هل ندمتَ، فما

في الظلال ذرًى

ربما

تهفت الأرض

ربما

تصفر الريح.. لكنني

أعمر الأرض والريح من شغف

مثلما

تعمرُ الحكيَ ربما

وجد

كان صبح وكان مساء
رفرف الصبح بِشْرا وهرول من
دُله ذا المساء

إيه... غيبني الوجد...
أشرقتُ رملا وغيما ونورا وماء

هيَ ذي النفخاتُ زلالٌ وذي
خطوات الزمان آنثيال وذوي
طلعه الصبحُ بُشْرَى تُمَني المساء

أيه...!
كم ... طيب أنت كم طيب
أيها الخالق فيما صنعت!...
عَشِقتُك فيه

وأني أراه بروحي، لقد

شوّهَتْهُ السنون الطوال

نزوح

نزحتُ من ذرى النجوم والمطر

تقربًا

ولم أزل

أخفق بين القمح والرياح والسفر

ولم يزل

رغم اهتراء الوقت يكبر الزمان ها هنا

وتكبر الرؤى

وتغرق الصور

أذكر كم تهادت النجوم في عليائها

ورقص المطر

وأنني أتوه

لا أذكر ما

أشعل بي الحنينَ للنجوم والمطر

لعلنا

لنختمِ القمم بالرصاصْ

ونوقدِ الشموعْ

فالشمس تبدو طفلة

ولهف الحَمام خلف شبَق الدّخان والخلاص

لنختم القمم لا تحترفِ العيونُ فينا سيرةَ الندمْ

فمن قدم

سد سليمان الحكيم مارد الدخان في القمم من قدم

ولنصغ... فالشعر على الطريق والألم

يُدفّع الشعرَ رؤى

ويحفز الهمم

فكم يكون الفجر من صلب الليالي نكهة

أخرى وكم من غُمّة تترى

لنختم القمم من حدب ومن شجىً

لطفلة تزوغ من شؤوننا

وزهرة تضوعْ

وأغنيات لم تَضَعْ

فينا ذراها بعدُ...، والآتي أسارير وحلم شيّقُ النزوع

لعلنا

لعلنا إذ يَرْهف الفضاء في زماننا

لعلنا

نفهم ما يهمسه الصغار في صلاتهم

وتَدّريه يقظةُ الشموع.

ظلال

قيل لكل عملة وجهانْ

وأنني

أبحث عن قراءة تحمِل نبض قولِه "اقرأ" ولا تخب في زمان

وإنني لست نبيّ صهوتي

حرقتُ نصف غلتي لتبرأ الأصداف من غُبارها

ولم أقل بضاعتي سويةٌ

والليل والنهار يهرعان

وفي الظلال خَدَرٌ.. وفي الظلال

تُكْتَبُ كلّ الأغنيات المشرعات للزمان

ويهفت المكان

ثرثرة للذات

ربة كل شيءْ

يا أمنا العتيقة الأسماءْ

لم نحصها

عفوك..؟!

لا وقتَ لنا

يُحمّل المصباحُ في شارعنا ظلا لكل شيء

ورغم كل شيء

يبهرنا الحب هنا

تهافتَ الفراش في الضياء

ورغم كل شيء

نخاف أن نسقط عن لذاتنا

تخوُّف القرصان من رحابه الفضاء

يدٌ على الدفة يُغويها المدى ويدٌ

تراوغ الشراع والرياح والسماء

وحيث يا سيدة الأشياء

نبحر في حكاية الظلال والأضواء

فأننا نحب كل شيءْ

وأننا

نَحْدجُ من مرارة الترحال كلّ شيءْ

دعاء

أبانا الذي في السماء

وفي كل قلب

أفي رحاب الزمان زمانٌ تخور القلوب له عن

حضورك فيها؟

وفي خفقها يستريح الخواء؟

أبانا الذي في السماء

تقدس في وعينا ما أذِنتم به... هل

كما في السماء

كذلك في الأرض تَغْنَى القلوب رضًى بالكفاف

وتخشى مراوده التجربة؟

أبانا...!

أهذا الزمان المُسَمى؟

لكم هزّنا القول ثم انهرقنا

على نَبَض الكدْح بين الدهور

نطامح أشرعةً لا تكلّ ونرقى صواريها المُتْعَبة

ولم ندر ... بيدرنا مثقل بالغلال

أترقى؟

أتلك التي قد أذنتَ لها الزمان؟

أبانا

تنزلْ

لعل السيوف تصير مناجل والذئب يرعى الخراف

وتُنهي النبوءةُ رحلتَها المُعتبة

نسأل

ما كان لا يكون

يقال في بساطة

ما كان لا يكون

أقول في بساطة

لعله يكون

ويضحك القمر

سمعت من ينعته

فقلت لا لا يضحك القمر

وتعبر السنون

من حيث لا ينتبه البشر

وسحنة القمر

مرآتنا

تصر أن تدور

دورتَها كأنّ في ديدنها تكون

سلالة الأشياء في عيوننا

وموسم الأشياء والذُرى

نعرف عن شؤونه.. شؤوننا

ولم نزل

نسأل عن موضعه من حيث لا يُرى

طقوس الموت

من اي مكان يأتي الموت

من أي زمان

يتعالى الصوت

يتلاشى الصوت

يتعالى يتلاشى الصوت

من اي مكان من اي زمان

كان البدء كلام ما زال البدء كلام

ونقول كلاما يتحدى قاموس الموت

ما عرف الصمت شعائره ما رفع الصمت وسام

كم قام القول و حط القول

و ظل القول يقوم و يقعد

فوق الصمت

و ظل الموت

غنّ لي

غنّ لي
أيها الشعر ايقاعك الآبق المستحيل
غن لي
لا أحب الصدى
غن لي
طالما آبقٌ أنتَ نحو البدايات مثلي وفي
خافقي الشبقُ المستحيل

غن، لا
لا تسلني لمن أغني... أنا
عاشق ما تغني ... هنا...
في الزحامْ
غن لي أيها الشعر بردا وغن سلام

كن كما أنت دفقا يعزّ وكن
أيها الشعر شعرا يهزّ وكن

أيها الشعر ما لم تكن

بُحّتِ النايُ من فرط ما

صحتَ، فاضبط لنا النبرَ، ما

يُرهف الروحَ فرطُ الحداء أنا

أنت رؤيا تمس الزمان حياء، وغنّ كما

أنت رؤيا، وإن موجَعا،

غني...!

الفرح الأكبر

كان الموج على الشطآن، وما زالت رغوتُه مثلَ زمانْ،
والريحُ تلف القمَمَ البيضَ وتَغوَى في القيعانْ
وحنينُ النهر وخفق الموج وكل الازهار وكل الاطيار كما كانت
والفرحُ الاكبر بعد جُنون الشوقْ
قد صار سويا..
قد شب على آيات الطوق
ايقاعا منهمرا مثل الثلج
ومثل الموج
ومثل حنين النهر وصوت الريح
ومثل اساطير الشرق
ودفء الشرق
والفرح الاكبر لا يأتي الا بعد صهيل الشوق،
كصراخ وليد يأتي في
بيت نسيَتْ جُدرانُه "خَرْبشَة" الأولادْ،
يأتي كالبرقْ
ليبشر بالمطر القادم والفرح القادم...

وبرائحة النسغ تعيد مراسيم الميلاد

ويجيء الفرح الاكبر لما
يرجع للبيت الولد الضال...
نلبسه الحلة والخاتم
ونُقيمُ له الأفراحَ.. ونذبحُ كبشَ العيد.. ولكنْ..
ليظل الفرح كبيرا...
لا يَسألُ أحد في الدار سؤالْ.

كنت هناك

كنتُ هناكْ

وذهبتُ الى ركن التدخينْ

بعد محاضرة عن أدب اللامعقولْ

ظل الطلاب العرب يهيجونْ

قيلَ: أهاجمُهم طلابُ يمين "مهووسون"

قذفوا قالتهُم بالقذع فهاجوا

والمدّ اشتدْ

ألقيتُ رُكامي فوقَ أريكةِ جِلد مهترئٍ

يتحامى من عبثِ الروتين ويبلي من عنت الروتين،

دخنتُ على عَجَلٍ وخجلتُ كثيراَ

فالجو ثقيلْ

كانت خلفي مجموعةُ طلاب عرب قد

غرِقوا في طقس التدخين

كانوا يحكون حكايات قراهم

وحكايا قال وحكايا قيل

وأمامي مجموعة طلاب

لا يحكون حكايات قراهم،

ضحكوا من قصص أخرى:

من فتنة غانية في الملهى ليلةَ أمس

وبراعة صاحبهم في فن الرقص

والكأس الأولى والثانية وآخر كأس

حكاية أخرى

الليل لونٌ ظلّ فينا
وهوَ ينزف .. آه ، فلينزف إلى
أن يمسح الصبح جبينه

قيلَ من البدء " .. يَكُن نورٌ" وجئنا نملأ العينين، ما حطت على أجفاننا منه سوى رؤيا، وصرنا نملأ الليل صلاة وحنينا

قيل ".. يكن نور" وهذا الليل ينزفُ منْ يشأ
لا يعدم الدربَ، فما
في رحلة الشوقِ سوى مَرمى عصًا
منا، وتهتز ذؤاباتُ المدينة

"والصالحون" يُطعّمون صلاتهم
في الليل بالتقوى لتنداح الرؤى قدامهم،
والليلُ، تمطر أعينُ الليلِ سكينه
ويلف أنحاءَ المدينة

مقامة الحية

الحية مُدهشه لكنْ

واحدةٌ لا يفهمُها مَن حَمَلته الدهشة وامتلأتْ

عيناه بطعم الحب:

إن تعدم حيلتَها الحية تهدأ

تتمدد مثل نزيف الوهمْ

وبرمشه عين

تنقض على الذيل وتنهشه حتى آخر نقطه دم

يحدُث هذا في الصحراء

لما تبتلع العاصفة الأنحاء وتسْفي حبات الرمل وتلسعُ كل

الأشياء

هُيل الكون غبارًا من حيثُ جهنم، والمخلوقات

تلوذُ منه ولا يبقى للكون فضاء

اذ ذاكْ...

تثب الحيةُ من مكمنها

وتجرد قامتها

وتكوّر شدقًا مهترئًا

وتباشر لُعْبتها:

تتلوّى.. تتزيى..

ترقصُ شعوذة.. تترقشْ

فالحيه أم السمّ لها باعُ ما بين فصول الوقت، وها

لبِسَ القمرُ الناحلُ بُرقعه وأجاز طقوس الوهمْ..

ولها الساحةُ فلتلعبْ، ولها الحُلم

تتقرص

وتزوّغ عينين كرقاصين وتهدأ إلا عينين كرقاصين

ثم تُعيد الكره... تنضُو قامتها للهيْل

وتلاعب أشباح الرمل وتغْوى حتى لا تقوى

فتُمدّدُ قامتُها.. تتزيّ،

وبرمشه عين

تنقضّ على أمّ الذيل وتنهشُه

حتى آخر نقطه دم

هي تعلن سلطتها

تتحدى ثورَتها

وتضاهي العاصفة الرعناءْ

لكنْ...

الحية مدهشه

ليس كذلك؟!

لا تفغرْ عينيكَ ولا تدهشْ!

أنواع القصّ سلالاتٌ تتحفّى في نص يترقشْ

في كون مغمور الأنحاء بغير فضاء

يحكى أن الجاحظ قال:

" بعض صفات الناس موزعةٌ في الحيوان ولكنْ

للإنسان جميع صفات الأحياء

كلام في موسم هزيل

لا كانَ حزنُك... موسمُ الغفلة لم
يهرَمْ، وحلمُك غيمةٌ صيفية
عَلِقَتْ بأحلى عمرنا

عانق زمانك.. لم يزل سَفرٌ على شوك، فلم
يأنس بنا الظلّ ولم تصدقْ بنا بعدُ أساريرُ المقولات التي
حارتْ بها سُورُ الأواخر والأولْ

لا كان حزنك أنه
قدَرُ السلالات التي انهمرتْ رؤاها عند إيقاع الهوى!
تعرى إذا همّ التخطي، وإذا
حط المقال تنزّ أحلامنا وترشح غُربة وتهزّ أعطافَ الغوى
عينٌ مؤرجحةٌ على الرؤيا
وعينٌ تنزفُ الدمعَ على "سقط اللوى"

يا شاعري!
قد يحلَم الشعراء لكن "صحّ فينا العزم"

والأخرى أبتْ

يا شاعري!

كم ضيع التيهُ خطىً شائخة الإيقاع ..! لا

كان اغترابُك..! إننا قومُ غزية "أن غزت.."

نحن على الرمل نبعثر لون حاضرنا فلا

تّغْتمّ، وابحثْ عن ضجيجٍ صنمٍ في نبْرِك..

لن تعدم ايقاعاً ولن

نَعدَم من أحرفنا عُرياً شحيحاً كلما الرؤيا خَبَتْ

يا شاعري! تزهو عرائشُنا إذا تزهو بنا الرؤيا بلا أقنعةٍ

أو أحرف عاريةٍ من نكهة الشعر

وايقاعٍ نشازٍ وهوى أنّى التفَتْ

ينوّر الملحُ في بلادي
وتشرق الشمس للأمانْ
لا تدهشوا
غرابة الملح في بلادي
حكايةٌ
تحْمِل في حُلمها الزمان
قد كان ما كان من زمان
أن عربد الملح عربدا
في بؤبؤ العين واستكان
ولم يزل
يَحْتَرف الصمت والصدى
ونَتّقي شوقنا ونهذي:
"يعربد الملح لو تَعَدَّتْ
أبصارُنا غربةَ المكان"

وعندما...
من همنا

نمتشق الحب والعوالي ... معا

ونرهق القول والأماني ... معا

ونسأل الملح أن يوافي

حكاية تعجز الرهان

وكم صحا الملح مُجْفلاً،

ملحدا،

أجردا..

معا:

"لما تَحِنْ بعدُ ساعتي"

ثم استكان

لا تدهشوا

ينور الملح في بلادي

ويُعجز الشوطَ والرهان

لا تدهشوا

فغربة الملح في بلادي

خرافة عافها الزمن

ليلة أخرى لليالي شهرزاد

١. قراءة

لعل شهريارْ
لما تلن قناته
وعل شهرزادَ ما زالت تسوي نثرها
تُطيّب الحكاية الأخيرة الأخيرة
في المخدع الوثير خلف رعشة الغلالة الوثيرة

لعل شهرزاد، أيضا، تنقع الخيوطْ
وشهريار يرتخي جموحُه ويلجم الشطوطْ
يُهرق في غيبوبة السرير
جنونه الأخير

وعندما ينهمر الصباح من جوانح الأقاح
ويمحي الشّجيّ والمباح
سترعوي حماقة السرير
لعلها...

سترعوي حماقة السرير

وعل من أنامل الرؤى التي في المخدع المعطل الكبير
تفر أخرى النزوات
وتلدغ النسيج
والموسم المرهق بالحنين والأريج

- وهكذا البركان يُنهي مَدّه
وهكذا الموج يرخي شده
إذ يدلف الخليج
فيرهَفُ النسيج

.٢
إنفعال

لنرع في صمت رؤانا المرهقاتْ
بعد زمان العُهر... إن الصبح آتْ
لعلنا

عما قريب يأنس المكان بعد غربة المكان

نقول:

يا ماكان ... يا ماكان

عن وجع

يرش في عيوننا شراهة الزمان

لعلنا

إذ يسأل الصغار: أنى كان ذا؟...متى؟

نبتلع الريق مرارا... نتحاشى أن نرى حيرتهم

نقول: ذا من كان يا ماكان

٣.

حلم

وعند ما الصبح أضاء الكون قامت شهرزادْ

وخف يقفوها بشوق شهريارْ

لما يزد عن شغف الليل سوى عشق وعشق وانبهارْ

لقيا الأطفال في الباحة يجرون فراحا خلفهم

جرْيا كما الأطفال...

"لا مُلك ولا جاه ولا الدنيا تساوي فرح الأطفال"

صاح العاهل العامر بالرؤيا

وصاحت شهرزاد

سيرة "نورا"

حملت "نورا" بعض حوائجها ومضت في الليل تدبُّ على غير هدى،
كانت تعرف أن بقايا العشق شظايا انفلتتْ ما بين الليل وأسواق التغريبْ
كان الليل مرايا والدرب دبيبْ،
لم توقنْ "نورا"
أتعوم؟ ... أتغرق في الليل؟ أيبقى الليل كما في الحلم رؤى؟ ...
أيكون الفجر قريبْ؟

حملت "نورا" أحلاما .. وهموما ما ألفَتها يوما
حملتها مثل جميع السارين على أنحاء الليل خُطًى حُبلَى بالوعد ..
وحبلى بالحُلم.. وكلّ طقوس الوهم

كان الليل بهيمْ
والدرب بهيم
والصبح تطاول موعدُه
وتطاول في "نورا" الشوق، وكان المشوار شُرودا يتشظى
شغفا
بالمشيِ، وكان الليل بهيم

تعبت "نورا" من طول المشي ومن عبء حوائجها وبكت..!

لكن دروب الليل - كما أَلِفَتْ أناتُ الشوقِ – تمطتْ في جوف الظلمة...

لم تَشْفَعْ للحزن ولم تشفع،

ومضت تمتد وتمتدّ.. ويُرخي الليلُ غلائله من فوق.. و"نورا"

تتساند من أمل بالصبح وتحمل بعض حوائجها

وتدبُ .. تدبْ

صار الغور غِيابا لا حد له، والبعدُ مد يدْ،

صار الزمن مرايا والشوقُ حشاشة إيقاع تعب والهم يزيدْ

صرخت "نورا" من هَوْل الرؤيا...!

ورمتْ - حتى – بعضَ حوائجها،

ومضت تبحث عن شيء في الصبر يُعيلُ حُطام مقالِهِ

"خلَقَ الإنسانَ بصورته ومثاله"

سجدتْ "نورا" لله .. وبكتْ في حضرتِهِ وتقوّت بجبالِهْ.

ظلت تسجد في حضرته، في الظلمة فوق شِعاب التيه وتبكي

من شغفٍ وتُعيدْ

والفجر بعيد...

الموتُ بعيد،

واللهُ الحاضرُ في الليل يريدُ و"نورا" من فرطِ الشوق تريدْ

أراجوز

ـــ عندي أخبار وحكايات...

عن زمن فات

من يحضرها يحسب أن القصة تحدث في هذي الأوقات

فتعالوا يا أولاد الحارة ...! هذي الليلة من احلى الليلات!

هاتوا بيضاً هاتوا خبزا ... هاتوا عدسا ... فولا ... ما شئتم

هاتوا ... هاتوا ، وتعالوا ...

القمر الطالع يدعوكم، وأنا أدعوكم،

قصتنا اليوم ترد الروح وتحيي الأموات.

هيا ... هيا يا حلوة هاتي ...

هيا هيا يا شاطر هات.

حمل الأولاد بيضاً، حملوا فولاً، عدساً وهدايا أخرى، وأتوا من كل الأنحاء يطيرون كأنهم فراشات واندسوا من قدام، ملهوفين وفرحانين، ولما عم الصمت وصار وقوع الإبرة يسمع صوته، والكل تجمد كالأصنام وقف الحاكي يحكي:

كان ويا ما كان

في أيام زمان

صارت أشياء تشيب لها الولدان!

في أحد الأعوام

حدثت هزات وبراكين وخربت البلدان،

وطغى البحر فأغرق سكان الشاطئ والوديان وتهاوت فوق الأرض نجوم واشتعلت نيران.

مات الزرع،

وجف الضرع،

وجن جنون الناس، وفروا مرعوبين لكل مكان،

هذي نسيت طفلتها في المهد، وهذي حافية القدمين تدق الأرض، وهذي عارية أنهكها الركض...

ما بقيت عائلة ما ضاع لها ولد أو أم أو جد

وكذلك فر الجند

صار الملك بلا حراس

بقي الأمر على هذي الحال ...

سنة .. أو أكثر ما قامت حرب فيها ،

ما صار قتال،

وتساوى كل الناس:

لا عبد ، لا صاحب جاه أو قائد جيش أو كنّاس،

الكل سواسية لا هم لهم إلا ان يجدوا أعشابا برية ليسدوا الجوع ويبكوا من هذي الأهوال، ويظلوا في الدنيا أحياء مهما كان الحال.

سكت الحاكي حتى يعرف هل أعجبت القصة جمهور المستمعين ...!

وقف الأولاد وصاحوا:

أكمل ... أكمل ...

وقف الكهال وصاحوا:

لا تتوقف .. لا تتوقف ! أكمل ... أكمل...

ماذا حل بأهل القصر ؟

ورجال القصر ؟

وملوك القصر وباقي الناس المحترمين ..؟

وتجرأت النسوة ، قمن سألن الحاكي عن أخبار أميرات القصر ... وعطر أميرات القصر ... وما يملكنه من حلي و"فساطين"

قال الحاكي:

طبعا طبعا ... لم أنهِ القصة بعد ، سأخبركم ما حل بأهل القصر،

ورجال القصر ،

وأميرات القصر

وسأخبركم أيضا ما فعل الناس، وكيف تلاقى الأهل، وكيف أعادوا تعمير القفر.

هاكم في الأول هذي الصورة عن أهل القصر:

رجع الحاكي خلف الشاشة ، أشعل نورا ومضى يلعب بالأشكال ... يحركها ويرقصها بين الشاشة والنور،

فتدور ظلال الأشكال على شاشته وتدور،

وتثور حماسات الجمهور ،

والحاكي يصرخ من عند النور:

هذي أخبار القصر:

ساحات ما فيها بشر ، وموائد لا ضيف يعمّرها ، وخوابي خاوية من قطرة خمر وطبول تقرع من غير جنود ، وبروج فارغة، ومداخل خاوية ، وفراغ قفر، وإذا أحد في القصر تضجر سل السيف ليضرب ما يصدف من أشياء ...

حتى الحيطان وأبواب البلور وأرض القصر.

حتى الملك تضايق يوما من طول الملل، فسل السيف ولوح ... لوح ... لوح ... في كل الأنحاء،

ورآه وزيره في هذي الحال فخاف عليه، وجاء إليه ، وظل السيف يلوح يلوح ...

فطيّر عينه، طير أذنه، وامتلأت قامته بجروح،

لولا أنه صاح وصاح من الألم لقطعه السيف وظل القصر بدون وزير.

ومضى الحاكي يحكي وحماس الجمهور يثور،

وظلال الأشكال تدور على وجه الشاشة ثم وتدور.

في الجنوب الأسى لازمٌ كلّ حالْ
كنتَ من فوقُ أو تحتُ لا
لا تقُلْ فاتي
"موسمُ الهم نعرفُه من شمالْ"

يؤمن الخلقُ: يأتي رُفوفا رُفوفا إلى
آخرِ الدهر لكنما
عندما يُكمل العدّ تعدادَهُ
تبلع الأرض ميعادَهُ
يجهل الخلق بعدُ لأيّ المواعيد .. لو
عرَفوا
ما حكى الشعر شعرا ولا الشوق طال
قيل: لم تُخلق الأرضُ نصفين لكن على
وجع الدّهر على محورين غدت:
واحدٌ لاهث للتأسي.. وآخر في
ناظريه بريقٌ وفي
شفتيه غِناء وفي جانحيه انفعال

يؤمنونَ، وفي كل يوم تزفّ الرّحى

قمحَهم في الهواء، وهُم

جدّ جَوْعى وفي

كل يوم تطول الدروب وتحتج من وجع بُحّةٌ

ويطولُ السؤال

والأسى لازمٌ في الجنوب، يقولون: وُجهتُهُ

من شِمال

المبدع

يضع الفاخوريّ لجرته أذُنا حيث يشاء

ثم يصففها كالشاعر مَزْهوا مثل الجرات الأخرى ثم يشاء

أن يُعلن عن صورة خَلْقٍ مكتملٍ

ويشاء

أن يعلن سلطتَه في إبداع الأشياء

والفاخوري عريق الأصل،

أصابعُهُ

شبقٌ من عَبَق الصّلصال، يكثّ الطينَ ويصنع آذانَ جراره كيفَ يشاء

لا يسألُه الناسُ لماذا؟ ... كيف؟ ... لأن المبدع لا يسألهُ الناس

سؤالْ

فالعبرةُ إيقاع ما بين الأمثال وبين الأمثال

والعبرةُ في عجز الناس عن الصلصال وحاجتهم للجرة في كل الأحوال

قال الفاخوري لنفسه يوما:

لن أصنع آذانا لجراري بعد اليوم ..!

لم يسألهُ الناسُ سؤال،

حملوها عَنَتًا ومضوا يحكون حكاية مبدعها، قالوا:

يضع الفاخوريّ لجرته أذُنا ما شاء ويلغيها ما شاء

الحروف الثلاثة "عيْنٌ" و "دالٌ" و "لامْ"

كيفما جئتَها تستقمْ،

ويكون الكلام

مثلما تستقيمُ الدلالات في لَعِبَ الساحر الشاطِر:

يَصلُح العدلُ فيها، وأنْ

شئتَ فالمِثْلُ، والوُسطى، وزوج شقيقة زوجِكَ "شقّة خرجِك"،

أو

فالعُدول عن الأمر، أو

مثلما قيل: "ذا في عِدالٍ من الأمر" من نَمَط الشك والموقفِ الحائرِ،

والعَديلةُ منها ففيها يقال إذا

ما تشابَهَ حسْمُ الأمور كذا:

"فاحشِها في العديلة" لا

فرقَ في الأمر أنّى عدَلتَ وأنّى عدَلْتَ ففي

آخر الأمر تجري الأمورُ ولا مِنْ ملام ولا

مَنْ رآها ولا مَنْ رأى

أنّ في اللفظ، حتى، هناك "عينْ" و"دالٌ" و"لامْ"،

بل وحتى إذا ما رآها تظل العدَديلةُ منها، وقد

تدّعي العدلَ مثل العِدال ومثل العُدول عن العدل أمّ الكلامْ

مشهد الجائزة

جاء يستلم الجائزة!..

بطلٌ...!

أعين الخلق معجبةٌ

بطلٌ يأخذ الجائزة!!

غُرّة تملأ الربح ووجهٌ، له اللهُ، كما الشمسُ، إطلالةٌ مُعجزة،

تذْرَعُ الأذرعُ الهواءَ له...

بطل،

ملأ الساحَ يومًا وأسدي قامة الزانِ في

لحظة عاجزة...

كان يدنو من المِنَصّة في مقعد كارج

واثقا

عند ما عَلِقَتْ عليه العيونُ التي دمّعت..

وانتهى مشهد الحفل،

ثم أطل المذيع على

شاشةٍ خرست

كي يتابع نشرتَه الموجزة...!

صاحبي

كان لي صاحب همه ان يقول

دائما صاحي دأبه همه ان يقول

قلت من همه دائما دائما

حاضر جاهز ليقول

كان بحرا يفيض بدون شطوط ودون رياح

قلت دون رياح يفيض وقلت بدون شطوط يفيض وأن

ضاق بالحاضرين الحديث تناوله

ويزف الحكايات تلو الحكايات في كل باب مباح

صاحي دأبه القول... كم

كان دأبه القول ...كم

كان من همه أن يقول

ايه من صاحي ايه من همه أيه من دأبه أن يقول

ظل يروي ويروي وما همه همه

كان من همه ان يعرف الناس ما عنده

همه ان يقول

تحن النّيب الى نجْد

تحنّ النّيب الى نجْد
وجدا مُرتَجلا عن وجد
والحبل يُخَيّل غاربها

لكن الدرب إلى نجدِ
تقتات فَراشا محترقا
جُن بها في
موسم عشق ممتد
من أرض صَبا لزمان نخّل غربتَها
وتخفف من عُدد العَدّ

خبر ذا "نجدُ" حكاه الحاكي فاشتبها
وانبهرتْ أحرفه
ولذاك
تحن النيب إلى نجد
زمرا زمرا

تتخطفها النّجوى وتلُف بها ...

أوراكٌ طيعة

تتذامر أو تقفوا وَلَها

وتروم عَراراً في رمل السفح وليلى

وطلولا من برقة ثهمد

أو صيحة هوْل أو

مَسعى صعلوك أسود

لكنْ ليلى قد صارت ساقيةً

والسفحُ مطارا ممتدْ

والطللُ الساجي حِللاً

ترتجّ

ولونُ الهول حكايا شعرٍ لا

تُحصى

ذكرى تتقمص في العَجَمِيّ وفي أكمام الورد

وتعود النيب وسائسها يزويها طيعةَ العود

لا شمت من أكمام عرار أو من مفرق ليلى أو

شهدت صولة هول أو حتى طللا يُقْريها رعشة وعد

تتبلع من عَلف الأكياس وتُغضي عن عَفَن الورد

وتحن..

تحن

إلى نجد

بوح

هذه من طقوسي أنا

أنت لا شك لا ...

تعرفين

مثل ما لك لي

وعلى كتفيّ الرياح تذُبّ الندى

تعرفين

لم أبُحْ بعدْ، عُريانةٌ شرفتي

والمساء يجيءُ حييّا هنا

والنسيم رهيفُ الخُطَى وأنا

تعرفين

أنتِ لا شكّ بي تعرفين،

مثلُ ما بك بي

عاشق شرفتي في المساءات في صمتها

وأعدُّ السنين

تفهمين

كل ما في الحكاية ... ما

قلتُ ، لما أبحْ بعدُ، إذ

تعرفين

تفهمين

ما يقول المساء وما

يدّعيه النسيم العليل

لم أقل جبلا

لك أن تسألي
ما بدا لك فيّ، ولي
أن أكونْ
حيثُما يرحل الشوق بي
أو أكون
مثلما ترسُم الريح فوق الرمال، ومثل الظلال، كذا
فاسألي ما بدا
إنني شغفُ الهمس من عصري الأول
لا أحب الجنادب، والموج لا...
لا أحب اندفاعه للشط، كم
هش من عُجبه الرملُ وافتر مما يضج السكون
فاسألي
في حناياي
شوق الى الحُلم خلفَ النجوم وفي
خاطري غُربةٌ

لا تقلّ ارتحالا معَ الشعر.. لا يخفق البردُ في
ناظرَيْك، فما الشعرُ إلا الشذى والشجون
لم أقل جَبَلا،
ما أنا باشق للعصافير، لكن كما
شغفُ الناي تغفو على معصمي السنون
يهتف الناس للقمر الطالع لكنّ قلبي على
غربه القمر الذي لن يكون
فاسألي
لكِ أن تسألي
بيْدري من رُوى الوجدِ حتى الجنون
إنني شغفُ الهمس... أعشق أن تسألي
ما بدا
لك، أعشق حتى أكون

اعتذار

وقفت في الشرفة بالأمس وكانت فرحة المساء مُغرية

واليومَ في الشرفة لا يهزني المساء

كان الصدى ملحمة والهمس كان أغنية

لا أحفل اليوم سوى بحيرة السماء

لكم رأيت لَعِبَ الأغصان ثم انقلبت رؤياي، لا

أدري سوى...

سيدتي..!

عفوك لم أُبصر جنونَ العطر في كُمّك أمسِ،

ها انا

أسمعه الآن بما أوتيت من تهافت، وها هنا

أرحل في تهافت النداء

حكاية الدوري

صليتُ ألف مرة على سفوح بيتنا

وأنت لم ترتعشي

والليل والنهار صارا مثلما لم يعتنقا

وأنت لم ترتعشي

وأحرف المدائن التي تناثرت على دروب جدّنا

تطاولت

وإنني

صليت ألف مرة على دروب جدّنا

وأنت لم تُغربي فيها ولم تُشَرقي

أكُفّ عن سذاجتي اذن!

فها هنا بعضُ شؤوني لم أزلْ أدفعها!

- تشك في شؤونها!

- هل عشش الدوري في حائطنا؟

- لما يَعْد حائطنا

- أتوه مثل عاشق

- هل عاش من لم يعشق؟

- لأنّ في صلاتنا حكايةً

- قد عرف الدوريّ كيف يتقي قفلتها

- ويلتهي في سردها

- وينتشي ... وينتشي .. وينتشي

فسد الملح

حمدا لله على كل الأفعال وكل الأشياء

نبعٌ لا ينضب

لمعان تحمله الأسفار فلا يشحب

رغم مراوغة الأذهان ورغمَ مجازفةِ الإنشاء

لا يَعوي الهر على بَشَم

لا يثبُ النملَ على نَهَم

والسيفُ الطينُ بغيرِ مَضاء

حمدا لله

رأسي من فوق يدي راجفةٌ وفمي مُرتهنٌ

للقول وصدري

متسع للحكي ولكن

ما أكثَر ما تغْوَى في نهم الحكي الأسماء

هتفت أمي من عزلتها: فسد الملح

وأبي صار غريبا

كم حدّث قبل رحيله عن خبز الملح:

"إما في الظلمة أو في النور" وليس سواءْ

أنْ تتسمّى الأفعالْ وأن

تتحامى ليس سواءْ

في لفظة "أخ"

نغم تعرفه كل اللهجات...

هو في اللغة المحكية ذو أكثر من معنى:

هو صِنْوك في القُربى من آدم حتى ..أمك،

قالوا للمرأة فلتلدي صبيانا ، واليوم يقولون لها:

فلتلدي لوليدك أخْ

يسنده

والمثل الدارج – نألفُ لعبتَه_ علمنا

"لا يحمي الأخ من الآخ سوى أخ"

في بعض اللهجاتْ

قالوا "أىْ"

في البعض الآخر قالوا "أُيْ"

وكذلك مدوا الهمزةَ حتى

صارت "آ..يْ.." أو حتى "أو..يْ.."

ولذات الآية مدوا همزة أخْ

حتى صارت آخْ..

هذه الهمزة لا تبرح كل الكلمات الموجوعة:

"أيْ" أو "إشْ" أن

فاجأك الأمرُ ولم تستهو شُروعه

"أُفْ" للملل المُفرط أن شد قلوعه

و"الأوف" المدودة نملؤها منذ التكوين لنرفعها للّوعة

أو لنُطّير عبْر تهافتها موال

أما الحرف الثاني

فقرارُ المعنى

لا يتحرك مهما داعبَهُ التفصيحْ

والمثل الدارج مثلَ دُعابته داعبَه:

"يا جَبَلي ما هزّتك الريح"

لا دخلَ له في بثّ الحالاتِ،

"ليبقَ المعنى مرهونا في وجع الهمزة

في كل الحالات"

واللغة العربية مثلُ لغات الشعرِ جميعاً

تحكمها الحالات.

سفر مع النعناع

قبل انتفاض الريح أمي رحلت

كموجه نهنهَها الشاطئ أو ترنيمه تثاقلتْ

واحتضرتْ

ولفّها العياء

تخففتْ من حملها

من "فيروس" الشتاء والسعالِ، من

تهافت الثرثرة الرعناء في التلفازِ

والغَباء

وقبل أن تنام أمي كثّفت دعاءها..

وهدأتْ

وخلّفت في القلب شوقا حائرا

يراجع الشعائر التي تحط عند جَرْسها الخُطى

ويقْعد المقالْ

وصوت أمي ناعم

كرعشه الصباح في مسْكبه النعناع إذ

ترشها وتقرأ "الفَرْض" وتدعو الله أن يُصلّح الاحوالْ

وهمُها أن يأكل الأولادْ

أن يَدْفأ الأولادُ .. أنْ

يتّعظ القادر من حكاية الديك الذي استغوى فشبّ الباشق في

عُفرته المخالب الطوال

ودأبها

تعدنا عند المساء إذْ نعود من سفرنا

وتحمد النعمةَ أنْ

أكرمها الباري بفجر تصنع فيه قهوه الصباح..

تلمنا قهوتها "الحلوة" في الصباح –

وتحمدُه

وتطلب الخير وتوفي قصه الحلال في أيامها

وسيره الحلال

وقد مضت ...

ذابت على حكاية العطاء مثلَ شمعة

ولم تضجّ، لم تقل هاتِ ولم

يلهث على طلعتها السؤال

وها مضت وحملت كل الطيوب كلّها

وخلّفت للشوق حلما آبقا

يسرح في مسكبه النعناعِ ... يتلو آية الشعائر التي

تحط عند جرسها الخُطى

ويقعد المقالْ

(الى ذكريات قديمة في دالية الكرمل)

للأديب والشاعر سلمان فرّاج، فلسطين

أرحلُ في عيونكم كالسندباد باحثا عن شوقي القديم
عن فرح خبأته عند عناق البحر والغيوم
لديكمُ
وكنتُ من فناء دارنا
من السفوح حيث تصحو لهفة الشمال للنسيم
أرقبه... ولم أزل أرقبه وأسأل النجوم

وكلما تقعدتْ لهجةُ أمي – مثلكم –
وتمتمتْ أغنية لينه نبرتُها كنَبْرِكمْ
أبحثُ عن تدفق الغيوم فوق غِلتي
ألاحق الأشكال الوجوه
وأطمئنُ أنّ في ظلالها عيونَكم وأنكمْ
حكايتي التي تهرع في عُبابها أعِنتي
وأنكمْ

ثرائي الذي يُغرقني بالزهر والحنين

يا حُلمي المثقل بالحنين

يا كنزي القديم

تُبحر بي وتُغرقُ السنين

وإنني

أغرقُ في الرؤى وفي الظلال والنجوم

ورقصة الندى على التلالْ

ولذة الخُشوع في ساحة "بو براهيم"

- تُقْلع منها زفّة الرجال حتى ساحة المراح

وتنحني السطوح والحفاف

بأعين الملاح

"فيكسر الصف" لها "ويسكرُ القوّال"

ويستشيطُ "يدحُ" الرجالْ

معتقا ... معتقا ... زلال ..!

وتخفق النجوم

يا كنزي القديم

يعود ذاك السندباد للجزيرة

يبحث عن شطوطه.. و"الحوش" و"الذخيرة"

عن عشقه.. عن رعشةِ ابتهال

و"كسرة الصفّ" لها وشغف الموال

لكم يتوهُ السندباد في حكايتي التي تبعثرتْ ألوانها

وبهتَتْ

ولم تزل تلوح في العيون

خبأتُها تحت عناق البحر والغيوم من سنين

ولم أزل أرقُبُها

من بيتنا

من السفوح عندَ لهفةِ الشمال للنسيم

مفارقة

- جبل الكرمل هذا جنّةٌ

وروعة... ألا ترى...؟

وخضرة طالعة إلى السما كما ترى...!

- .....

- كنت فيه مرة، ... رحلة في المدرسة

ناسُه مبتهجون

يضحكون يضحكون

كم أنا أحب أن أعرفهم

أنت هل تعرفهم؟

- .....

"كسروا سفْرتَنا" بزعتر ولبنة

نقّطوا ظرافة و"أدْمَنَة"

حين زرناهم وكنا يومها في المدرسة..

- .....

سامعٌ؟...

أنهم مبتهجون..

يضحكون

ولديهم زعتر ولبنه..

- .....

سامع؟

جبلهم – يقال عنه خضرةٌ وزعتر ولبنة

وأنا عشقته، ماذا ترى؟ ... هل

نأكل اليوم لديهم زعترا ولبنة؟

- .....

- قل ألا نعبر بالكرمل؟

- .....

- هل تسمعني؟

- .....

- قل!

- .....

- وقتنا متسعٌ... لا قبلنا لا بعدنا !!!...